مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020، ص - ص: 89 – 110
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الكورونا مفتاح للنجاة
محاولة لفهم وتفهيم كتاب الله في زمن الكورونا

Corona key to survive
An attempt to understand and interpret the book of God in the time of the Corona

الباحث محمد لفرم
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، فاس- مكناس المغرب
mh.lafram@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/07/29 تاريخ القبول: 2020/10/17

الملخص:
يسعى البحث إلى الإسهام في تطوير فهم وتفهيم كتاب الله من خلال ربط مضامينه بالواقع. منطلقا من إشكالية يسعى للإجابة عنها واقتراح حل لها، مفادها: هل يسهم شيوع فيروس الكورونا بين الناس في توضيح أكثر لبعض مرادات الله تعالى الواردة عنه في كتابه الحكيم؟ وهل يمثل هذا الفهم فرصة للعودة بهم إلى طاعته؟ فهو بذلك بحث نظري؛ يسعى لتطوير الدراسات القرآنية.ويقصد إلى تحقيق أهداف ملخصة في:
1- المشاركة في تطوير منهجية النظر في كتاب الله بمراعاة الواقع.
2- الكشف عن بعض مسببات تكرار النظر في كتاب الله من أجل استجلاء مضامين مستجدة.
متسلحا لتحقيق ذلك بفروض:
1- شيوع فيروس الكورونا بين الناس أسهم في تجلية بعض مرادات الله تعالى.
2- حالات الحجر العام يسرت فهم كثير من الآيات فهما يقرب من إمكانية تطبيقها بسهولة.
متوسلا بمنهج وصفي، يفحص المادة وينسبها، من مصطلحاتها الحاملة لمضامينها، والارتباط بالواقع للوقوف على مدى انتمائها.
الكلمات المفتاحية: الفهم، التفهيم، المدارسة، زمن الكورونا، الخروج والنجاة.

Abstract:
The research seeks to contribute to developing understanding and understanding of the Book of God by linking its contents with reality. Based on a problem that he seeks to answer and propose a solution to,

namely: Does the spread of the Corona virus among people contribute to more clarification of some of the desires of God Almighty mentioned in his book Al-Hakim? Is this understanding an opportunity to return them to his obedience? It is thus a theoretical research; It seeks to develop Quranic studies.It aims to achieve goals summarized in:

1- Participation in developing the methodology for examining the Book of God by taking into account reality.

2- Exposing some of the causes of repeated review of the Book of God in order to clarify new contents.

Armed to achieve this with assumptions:

1- The spread of the Corona virus among people has contributed to the manifestation of some of the wishes of God Almighty.

2- Cases of general quarantine facilitated the understanding of many verses, as they are close to being easily applied.

Using a descriptive method that examines the material and attributes it, from its terms carrying its contents, and relevance to reality, to find out the extent of its belonging.

Key words: understanding, understanding, studying, coronavirus time, going out and surviving.

المدخل المنهجي:

تمهيد: إن الله تعالى خلق الإنسان لمقصد أساس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، فكان المطلوب، بالأساس، أن يعبد هذا المخلوق ربه الذي خلقه، كما تعبده سائر المخلوقات. ولعل مقدمة العبادة تنطلق من المعرفة. فكلما كانت معرفة العبد بربه قوية وواضحة كانت العبادة والطاعة تقترب من استيفاء شروطها. كما أنه تعالى أنزل كتابه لغاية دقيقة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾ [النحل: 43-44]؛ فقد بين سبحانه أن يكون، هذا القرآن، وسيلة تبيين؛ إذ لا يمكن أن يعرف العبد ربه إن لم يكن على بينة من القواعد التي تؤطر هذه المعرفة، وكذلك تحدد مجالاتها؛ وقد يختلف الناس في معرفة ربهم وفهْم قوانينه، لهذا كان دور القرآن أن يجلي كل الخلافات التي تؤسس للقوانين

التشريعية: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

إشكال الدراسة: إن مدارك الخلق تتفاوت، بشكل نسبي، حيث ما يعرفه هذا قد لا يعرفه الآخر، وما يتقنه ذاك لا يدرك كنهه غيرهما. وفهم كتاب الله تعالى ثم تفهيمه عملية ليست بالهينة، كما أنها ليست متاحة لكل الناس، بل يتفاوتون في تلك المهمة المتميزة بالخطورة البالغة، حيث إن من يفهمه ويقوم بالتبع بتفهيمه للآخرين، إنما يقوم بالتوقيع بالنيابة عن الله تعالى، بتفويض منه تعالى، وهو بذلك يتحمل كامل مسؤوليته في نقل بعض من مرادات الشارع الحكيم إلى كل الناس، ويتحمل بالتالي، إما الثواب على تنفيذهم الصحيح، أو الوزر متى كان انحرافه في التفهيم عن المقصود عمدا، ويمكن أن يعذر في خطئه متى اجتهد بصدق ولكنه لم يُصِب المنشود. ومما يسهم في فهم وتفهيم كتاب الله تعالى توفُّرُ المسببات التي تجعل المعنى أكثر وضوحا منها متى انعدمت تلك المسببات. وقد تكون تلك المسببات شخصية كما يمكن أن تكون عامة بين مختلف الناس. فهل يسهم وضع شيوع فيروس ومرض الكورونا بين الناس في تجلية بعض مرادات الله تعالى، وجعلها أكثر حضورا؟ وهل حالات الحجر العام تيسر في فهم كثير من الآيات فهما يقرب من إمكانية تطبيقها بيسر؟ وهل حالة السجن المفروض على كل الناس تقودهم للوقوف على مضامين كانت تغيب عنهم في روتين العيش وتقربهم من ربهم من جديد؟

أهدافها:

1- المشاركة في تطوير منهجية النظر في كتاب الله بمراعاة الواقع؛

2- الكشف عن بعض مسببات تكرار النظر في كتاب الله من أجل استجلاء مضامين مستجدة.

فروضها:

1- شيوع فيروس الكورونا بين الناس أسهم في تجلية بعض مرادات الله الواردة في القرآن؛

2- حالات الحجر العام يسرت في فهم كثير من الآيات فهما يقرب من إمكانية تطبيقها بسهولة؛

3- حالة الحجر المفروض في بلاد المسلمين قادت إلى الوقوف على مضامين قرآنية كانت تغيب عنهم في روتين العيش من خلال ربط المضمون بواقعهم اليومي.

وللوقوف على هذا الفرض الثالث تم وضع هدف استراتيجي مفاده:

- الكشف عن كون الحجر المفروض في بلاد المسلمين، قد يمكّن من الوقوف على مضامين تنبعث من الآيات القرآنية المختلفة كانت تغيب عن أفهام الناس في روتين العيش.

أهمية مجالها: إن الواقع يؤكد أن تناول هذا الموضوع،اليوم، هو من الضرورة بمكان، حيث إن نتائجه تهم كافة المسلمين، إذ مرض الكورونا يهددهم جميعا بدون استثناء بين غني وفقير، بين قوي وضعيف، بين كبير وصغير. وهذه الوضعية ألحت على الباحث أن يقارب موضوعها للكشف عن كون القرآن الكريم يتجدد تنزله، كما يتجدد مضمونه، وهو بذلك يؤكد صلاحية معانيه لكل زمان ولكل مكان. فالموضوع يؤكد راهنيته مما يقتضي تعدد مثل هذه الدراسات بغية الإسهام في تعميق الصلة بين الناس وكتاب الله تعالى، خصوصا أن هذه الصلة تزداد بعدا كل يوم أكثر، كما أن بيوت الناس قد صارت شبه خالية من إقامة صلاة بها، وقراءة كتاب الله تعالى، إذ تبين أن صلتهم بذواتهم وبأهلهم تزداد ضعفا يوميا. فإن العديد منهم اكتشف أسرته من جديد فزاد توطيد العلاقة بها، في حين أن آخرين اصطدموا بذواتهم وأهلهم اصطداما خطيرا جدا، مما أوجب الكشف عن مسببات ذلك من خلال كتاب الله تعالى.

منهجها: هي كل المناهج تتداخل فيما بينها، فلا يمكن الجزم باتباع منهج واحد، غير أنه لا يمتنع من تغليب أحدها حتى يصير هو المركز، ولذا، فالدراسة ستنهج منهجا وصفيا، يسعى ابتداء إلى فحص المادة ونسبتها، انطلاقا من النظر في مصطلحاتها الحاملة لمضامينها، مع الشروع من 'فروض' تسهم في حل إشكال الدراسة، ثم الارتباط بالواقع للوقوف على مدى انتماء المصطلحات ومحتوياتها القيمية للواقع الذي أنتجها أو الواقع الذي يسعى لتكييف الفرد معه من خلالها، لتصل في النهاية لتعميم نتائجها لمعرفة

المنطلقات والتنبؤ بالنهايات. وآخر استقرائيا لاستخلاص القواعد العامة من الأحكام الجزئية، شريطة إبعاد الأحكام المسبقة.

مصطلحاتها: الكورونا، مفتاح للنجاة.

دراسات سابقة: لعل الدراسة من الجدة مما يجعل سابقات لها، في مضمونها وأسلوبها، في الزمان أمرا مستبعدا.

قيمتها المضافة: وهي بذلك ستكون قيمة مضافة في ذاتها باعتبارها الأولى من نوعها، وستكون مقدمة لأبحاث في ذلك الموضوع، تكون دعما، أو تقويما أو تصحيحا لها، وسبْقُها شرف لها.

ثانيا: المفصَّل

1- الحل المعرفي للإشكال:

مقدمة: إن الحمد لله حمدا يليق بجلاله العظيم، هو كما أثنى على نفسه، لا نحصي ثناء عليه، وأشهد أنه الله الواحد الفرد الصمد، لا شريك له في الملك ولا ولد، الذي لا حد لرحمته سبحانه، فهو يرحم من طلبه، وينجيه متى كان مخلصا في دعائه ولو في لحظة الدعاء فقط، حتى ولو كان يعلم أنه سيرتد عن وعده الذي وعده لربه، القائل في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]. والصلاة والسلام التامين الدائمين على النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم يا ارحم الراحمين يا رب العالمين، وأشهد أنه أدلا الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

إن التاريخ ليعيد نفسه، وقد تأكد من ذلك عديد من المؤرخين والباحثين في تاريخ الأمم والشعوب؛ ونتأكد، نحن المسلمين، بأنه يستعيد نفسه استدعاء، فيتكرر بمثل الواقعة إن شكلا أو مضمونا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 118]؛ بل إنه ليمكنه أن يتكرر بكامل المشهد والصورة: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28].

وإن العالم اليوم، يعيش حدثا فريدا من نوعه لم يسبق أن عاشه بمثل الصورة والنتائج، فها هو سجين، بل إنه سجن نفسه بنفسه، وبكامل إرادته ووعيه، وإن كان كارها، فهو مدعو 'للصبر' على هذا السجن. ولقد تمت دعوة الإنسان، عبر تاريخه، للصبر برهة من زمن الدنيا، ليعيش سعة الآخرة، ولكنه كان يرفض صبر ساعة، وها هو اليوم، مقهور ليصبر ساعات لا يعرف منتهاها. فهو بذلك وقع في بطن الحوت، وليس له من مهرب منه إلا بالعودة إلى الله تعالى واللجوء إليه بالتضرع الخالص والصادق.

وها هو القرآن يتجدد تنزلا، وتتجدد مسببات تنزله، وتتجدد بذلك معانيه: أما الصورة الأولى، فتتجلى في وصف القرآن لحالات أحس فيها المرء بالسجن، رغم حريته، وبالضيق رغم سعة الدنيا، في مشهدين قرآنيين، نكتفي بأحدهما، حيث إن المشهد الأول يصف القرآن فيه حالة ثلاثة من الصحابة الذين عاشوا أصعب لحظات حياتهم، حين تم استبعادهم من دائرة التواصل الاجتماعي، وتحدد في حقهم 'التباعد الاجتماعي الفعلي والمراقب بضمائر حية'، بسبب تخلفهم عن الواجب الشرعي كسلا واستطياب المتعة الزائلة في الوقت الذي كان أغلب الصحابة في جهد وعسرة كبيرين: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118]. فهذه الآيات صورة حية عن حقيقة ما تعانيه البشرية اليوم، في زمن الكورونا، سجينة، رغم الحرية؛ متباعدة، رغم القرب؛ فما أشده من عذاب. فلم تنفع فيه إلا العودة إلى الله تعالى والفرار منه إليه، فما أرحمه سبحانه بعباده إذ يذكرهم رغم نسيانهم له.

وأما الصورة الثانية، فهي تصف حقيقتنا، في شكل من الأشكال، في تشابه دقيق مع تلك الصورة: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)﴾ [الصافات: 140-144]. إننا في بطن الحوت[1]، فكما تسببت مغاضبة يونس عليه السلام لقومه وابتعاده

عنهم دون استئذان لربه، ولا تكليف منه تعالى، فقد تسبب بعدنا عن الله تعالى في حصول ضيق شديد من جراء عموم البلاء للعالم كله.

تحديد المصطلحات المركزية:

المصطلح المركزي الأول: **الكورونا**: لعل المرض معروف، لكن المضمون المنشود،في هذا البحث، التنبيه إليه أن هذا الفيروس هو من جند الله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [الفتح: 7]. ومهما كان الذي يقال حوله، فهو ضمن ملكوت الله فلا يرفعه غيره، خصوصا أن العالم اليوم عاجز أمامه، فهو يتشكل في كل بلد بشكل، ولا يستقر على حال، ولا يعرفون كيف يتصرف.

المصطلح المركزي الثاني: **مفتاح للنجاة**: إن سبل النجاة من بطن الحوت، أي الواقع المتردي الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وتخلفها البيِّن في كل مظاهر العيش، سبل متعددة، غير أن الكورونا قد نبَّهنا إلى كيفية استعمال أحد هذه المفاتيح، ولعله أيسرها، وأقربها لكل الناس جميعا.

تحديد المفهوم الاصطلاحي: **النجاة**: أصل النجاء، الانفصال من الشيء، وأصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه[2]، وَقيل: النَّجاةُ الخَلاصُ ممَّا فِيهِ المَخَافَة ونَظِيرُها السَّلامَة. وهُوَ من النَّجْوةِ وَهِي الارْتِفاعُ مِن الهَلاكِ[3]. نجا الشخص من الشر: سلم وخلَص من أذاه[4]، ومن ثمة فالرجوع إلى الله تعالى هو سبيل إلى النجاة من كل ضيق وهم ومشاكل.

بناء المفهوم المركزي وتأصيله: إن المفهوم المستهدف تأصيله هو مفهوم ينطلق من مصطلح قرآني[5] ورد التصريح به في عديد من آيات تعتبر محورية في هذا البحث هو مصطلح 'النجاة'. ونظرا لأهمية المصطلح، عموما، والمصطلح القرآني على الخصوص، في تقريب كثير من المعاني للناس فقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في صورتين، تقرِّب إحداهما معنى الأخرى، أي التي سبقت في الترتيب المصحح في تسهم في توضيح الثانية.وهما صورتان رئيستان:

فأما الصورة الأولى، الإنجاء تفضلا وتكرما من الله تعالى، كما كان الشأن في حال بني إسرائيل: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (79) يَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (80) كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (81) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82)﴾ (طه: 79-82)؛ فرغم تقبلهم للذل والقهر، فقد تفضل الله عليهم بأن بعث فيهم نبيا كان سببا في تدخل رحمة الله بهم لتنقذهم حتى ولو لم يكونوا ممن يتوجه إلى الله بالدعاء، وإلا فلتقرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129].

وأما الصورة الثانية فيكون الإنجاء بعد النجاح في امتحان الصدق مع الله: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: 53]. وأوضح نموذج للإنجاء من الضيق الشديد الذي لا تظهر منه بوادر للنجاة والانفلات من العذاب الجسدي أو النفسي أو كلاهما هو نموذج يونس عليه السلام حيث أنجاه الله بكثرة دعائه وتسبيحه واعترافه بخطئه، ولو أن فرصة النجاة كانت في ظاهرها مستحيلة: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾ (الأنبياء: 87-88) وأنا أسميها سورة الاستجابات، فما أحوجنا، اليوم، في ظل جائحة ووباء كورونا، أن نتوجه إلى الله بهذا الدعاء، باستمرار، عساه يرحمنا، ويرفع عنا هذا البلاء، فالوعد بالإنجاء ليس خاصا بيونس عليه السلام، بل عام لكل المسلمين متى أخلصوا الدعاء كما أخلص فيه نبيه يونس.

2- الحل العلمي للإشكال:

مقدمة: سواء أكانت نتيجة المساهمة التي تحصلت ليونس عليه السلام من تدبير كل أصحاب السفينة، أو بعضهم، أو من تدبير الله تعالى، فكل ذلك من صميم قدر الله تعالى. وأما الفعلُ-الحلُّ، فقد تمثل نداء العبد-النبي، معبرا عن ضعفه واعترافه بخطئه بكل صدق فكانت النتيجة هي إنجاء الله لهذا العبد الصادق من كل 'الظلمات'. وبين الفعل والنتيجة،على أيامنا هذه، فمسيرة نقطعها كما قدر الله تعالى ويسر، من خلال ما سيتم التعبير به والكشف عنه.

المبحث الأول: مسببات الوقوع في بطن الحوت

كل رسل الله وأنبيائه قد نفذوا المطلوب منهم، بحسب ظروفهم وقدراتهم، وما ذكر القرآن أن نبيا قد أخل بما طلب منه، وإن كان ينبِّههم جميعا، وباستمرار، على ضرورة التحلي بالصبر والقيام بالمطلوب وعدم التقصير فيه، مخافة العقاب، الذي قد يفوق أي عذاب آخر: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)﴾ (الإسراء: 73-75)، وكذلك بيّن أنه من الممكن أن يحدث من نبي نكوص فمصيره إلى ربه يوما من الأيام، وما ذلك إلا استثناءٌ توضيحي، وإلا فالله لا يختار نبيا إلا بعلم دقيق. ولعل يونس عليه السلام، كان فريدا من بين الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن، دون أن يعني ذلك انعدام نموذج أو نماذج أخرى مثله.وعلى ما يبدو، فقد كان 'رقيقا'، لينا، ولعله كان شابا يافعا قليل الخبرة؛ إن أي فرد تربطه بالله تعالى صلة، فإنه بمجرد أن يقع في الخطأ يدرك ذلك فيتوجه لربه بطلب المغفرة وأن يتجاوز عنه، فلا يوجد من يغفر الذنوب ويمحوها نهائيا غير الله تعالى. ومتى كان اللجوء إلى الله بصدق فالنتيجة تأتي، يقينا، مهما طال الوقت: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]، فبمجرد توجه الدعاء مرتبطا بالإخلاص يكون الجواب الرباني بالخلاص.

لقد صدر الأمر للحوت، وقد كان حوتا بعينه، له من المستوى، من بين كل الحوت من نوعه، ما يؤهله لتلك المهمة. إن اختيار الله تعالى يتم على علم، فكما اختار النبي، اختار الحوت الذي سيلتقمه حماية له من كل ضرر، عناية بعبده الكريم، فقد قام ذلك الحوت بعملية فريدة، الالتقام؛ حتى يبقى على حاله، إذ لو مارس الحوت طبيعته لمضغه، وانتهى أمره. ورحمة الله حاضرة في قدرته تعالى، فقد هيأ مكان الالتقام، وحمى نبيه من أن يؤثر فيه، بشكل كلي، حامض معدة الحوت ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ (50)﴾ [القلم: 48-50]. فالله تعالى كما ينعم على عباده فإنه

يبتليهم ليثبتوا، لأنفسهم، وليس له تعالى، فهو الأعلم بكل شيء، ثباتهم على الحق، كما أنه يفتح نعمه على الظالمين، فتأتيهم من كل ناحية، حتى وأنهم لا يعرفون طلبها منه، ولا يشكرونه عليها بعد حصولها، ليس تقديرا لهم، بل استدراجا لهم حتى ينسوا كل شيء، وذكر القرآن ذلك كان بغاية تذكير النبي ﷺ، وأمته من بعده، حتى يكونوا دائمي اليقظة، فلا يطمئنوا لأي نعمة، فقد تكون نقمة استدراجية، فلا بد من الصبر والثبات كيفما كان ظاهر الواقع.

المطلب الأول: نسيان الله

إن الإنسان يسعى دوما بحثا عن السعادة النفسية وإشباع الرغبات الجسدية بكل السبل وفي كل الاتجاهات. وفي رحلته تلك، يحاول أن يرضي آلهة متعددة ومتنوعة، باختلاف المعتقدات والملل والمرجعيات الدينية التي يستلهم منها الإنسان ما يريد تحقيقه.

والمسلم، درجات إيمانية متفاوتة، تزداد وتنقص، بل وتمرض حتى قد تصل إلى الموت عند أصناف من الناس يفقدون كل بوصلة توصلهم بربهم سبحانه وتعالى.

وفي الإسلام يقترن الإيمان بالله تعالى بركيزتين اثنتين مرتبطة فيما بينها دوما: الإسلام والإيمان وهما سيقودان إلى الإحسان. فالتعرف على أركان الإسلام هي الخطوة الأولى، ثم يتم الارتقاء ليقف المرء على أركان الإيمان. والنسيان ليس بالضرورة هو خروج المنسي من الذاكرة بالمرة، بل على العكس من ذلك، فقد يكون المرء متذكرا لربه ولكن بدون عمل صالح يرتبط به، ومن ثمة فلا إيمان بدون عمل، فحيثما ورد ذكر الإيمان في القرآن إلا وورد مرتبطا بالعمل الصالح.

هناك فئة المؤمنين الذين يقعون في ظروف تقودهم إلى نسيان ربهم فلا يلجأون إليه إلا في حالة وقوعهم في الضرر، وبمجرد أن يزول ما بهم من ضيق يرتدوا على أعقابهم لينخرطوا في تيه العيش، ولهذا السبب نبه الله تعالى الناس، وضمنهم الفئة المؤمنة، إلى تذكر ربهم في كل وقت، لكون نسيانه يقود العبد لربه للوقوع في الذنوب والخطايا، وهذا النسيان قد يطرأ على المؤمنين. والخطورة تكمن في نسيان الله لهذا العبد فلا يحول بينه وبين الوقوع في الدنايا.

المطلب الثاني: الانحراف عن طاعة الله

إن العبد مدعو إلى الالتزام بأوامر ربه والابتعاد عن نواهيه، وتلك طاعته له، في حين أن الذي ينحرف عن تلك التعاليم فهو في حالة عصيان لربه تعالى، والعصيان درجات. ومن العصيان الفتور عن طاعة الله تعالى وكسل الهمة عن ابتغاء المعالي.وإن ضعفها ناتج عن التسويف، ومرافقة مقترفي الموبقات، وبالنظر في الواقع يتبين أن من أسباب البعد عن الله تعالى:

1- المبالغة في الاهتمام بمتطلبات الجسد،على حساب المنحى الروحي، الذي يكون بإمكان الصلاة أن تنميه وتلبي احتياجاته. فلنتساءل ولنسائل أنفسنا عن صلاتنا؟!

2- السعي وراء الشُهرة، وما تتطلبه من إرضاء للأهواء، وبذل المسموح والممنوع؛

3- توسع دائرة الملاهي: وخصوصا ما فرضته علينا التكنولوجيا الحديثة التي قيدت الناس، وجعلتهم مستلبين ومأسورين لها، وقتلت أوقاتهم؛ فها هم غالبية الذكور من الناس منشغلين بمستجدات الشبكة العنكبوتية اليومية، وغلبية النساء منهم مهتمات بما يجري على التلفاز من وصفات تجميلية وطبخية وملبوسات، وشبابهم مشدودين إلى الهاتف النقال، ومواقع التواصل الاجتماعي، في كل الأوقات، وحتى في مقاطع الطرق وعلى ممرات الراجلين وفي المكاتب وطاولات الدراسة؛ وهذا الانشغال فاق الحاجة وتحول إلى هوس، لا يحتاج لدراسات تكشف ذلك، بل الواقع خير دليل.

فقد انشغل الناس حتى عن أهلهم وذويهم، وإنك لتدخل البيت لتجد الأب فوق حاسوبه، والأم عينها على التلفاز والأبناء أعينهم على هواتفهم، وصاروا ينشغلون بها حتى عن الطعام، فجعل انشغالهم عن ربهم يزداد كل يوم اتساعا، مما يستدعي عودة لله تعالى عساه يتداركنا برحمته.

المطلب الثالث: الغفلة عن مكر الله

إن كل غافل عن تصرف الله تعالى في هذا الكون هو معرض لمكره؛وإن "مَكْرَ اللَّهِ، عذابه وجزاؤه على مكرهم، وقيل مكره استدراجه

بالنعمة والصحة وأخذه على غرّة وكرّر المكر مضافاً إلى الله تحقيقاً لوقوع جزاء المكر بهم[6].

المكر في اللغة: و"أصلُ الأمن في اللغة: طمأنينة النفس وزوال الخوف[7]، قال الرَّاغب: المكر: صرف الغير عمَّا يقصده بِحِيلة[8]. وعند ابن فارس: المكر هو: الاحتيالُ والخِداع[9]. أما ابن منظور فقال: إنَّه مَكْر غير ظاهر للممكور به[10].

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: "عدَمُ توقُّع مكروهٍ في الزمان الآتي"[11]. وقد قال الفرَّاءُ: "والمكرُ من الله استدراجٌ، لا على مكرِ المخلوقين"[12].

وإن من علامات الأمن من مكر الله: الإصرار على المعاصي مع استدراج الله بالنِّعم.

وأما مكر الله فهو ردٌّ لمكر الماكرين وهو عملية استدراجية لهم.

وعلى الرغم من كل ما سبق، فلا بد من إحسان الظن بالله تعالى، فهو سبحانه لا يمكر مكر سوء، بل هو تدبير منه بما لا يعلمه الخَلق.

المبحث الثاني: فوائد الوقوع في بطن الحوت

إن الذي يدرك أنه في بطن الحوت لا محالة سَيُبصر، والإبصار قدرة ليست لكل الناس، بل هي متاحة لمن اتقى ثم تذكر، فالغشاوة لا بد أن تنكشف عنه فيرى ما لا يراه غالبية الناس. وإن الله تعالى يتدارك عباده، رحمة بهم، فيوقعهم في وضعيات يبدو أنها شديدة عليهم، ولكنها تذكرهم وتجلي الغبش عن عيونهم، إذ من الناس من يعودون لربهم بين الفينة والأخرى، ومنهم من لا يتذكر إلا بعد أن يقاد من أذنيه بقوة ورجة يستفيق من بعدها القلب.

المطلب الأول:تذكر الله بعد غفلة

إن كثيرا من الناس يغفلون عن ربهم وتأخذهم الدنيا وتأسرهم حلاوتها، فينسون الواجبات التي التزموا بها، ومتى ما ذكرهم أحد، سوفوا للتوبة، وهم لا يعلمون أن من أخطر أسباب الغفلة التسويف. لذا يتولى الله تعالى تذكير عباده بين الفينة والأخرى، فمنهم من يعود بأيسر طريق، وبأقل تكلفة، ومنهم من لا يتذكر إلا حين يقع في الشدة. وحينها يرفع يديه متوجها لربه راجيا منه أن ينقذه مما هو فيه، بعضهم يلهج بلسانه وقلبه غافل، ومنهم من يصدق في تلك اللحظة،

فإذا ما كشف عن المأزق عاد لما كان فيه، ومنهم من يصدق مع ربه فيبقى على طريق الحق، مخلصا في دعائه، صادقا في أوبته، متحريا في تجديد نيته في توبته؛

المطلب الثاني: تذوق الإخلاص في الدعاء والتصرف

والعبد الذي يذوق حلاوة الدعاء، ويتذوق لذة القرب من ربه، يستشعرها فتنجلي عن طمأنينة في النفس، وراحة في البال، وسكينة في القلب، وثبات في الفؤاد. فتصير كل تصرفاته مرتبطة بالنية الصادقة في التوجه والإخلاص في الدعاء، فلا يشرك مع ربه أحدا أبدا، ويدقق وعيه حتى لا ينزلق إيمانه وينحرف في اتجاه الشرك، مكشوفه وخفيه.

وإن من أهم موجهات الإخلاص في حياة المؤمن اقتران العلم بالعمل، فيطيل النظر في كتاب الله تعالى ويجيل البصر في سيرة رسول الله ﷺ، عاملا بكل جدية لتلمس ذلك الطريق، فإن لم يصبه بالكلية، قاربه، متداركا نفسه، كلما زاغت قليلا ردها بقوة.

والإخلاص هو النية، وهي المحددة لكل عمل ووجهته، كما أنه من الواجب والضروري تقديمها في كل عمل، وبالإضافة إلى تحديدها في بداية كل تصرف، فلا بد، أيضا، من تجديدها طيلة العمل، حتى لا تزيغ النفوس. فلا يصلح العمل إلا بصلاح النية، ولا تكون النية صحيحة وصالحة إلا إذا صلح فيها قلب صاحبها.

والإخلاص يكاد يكون عزيزا في الحياة العملية، وخصوصا على عصرنا هذا، ويزداد عزة، في العبادات، بل يكاد يغيب فيها، حيث تمتزج التصرفات بحظ النفس. لذا كان من الواجبِ الإخلاصُ، في كل عمل، ويضاف إليه، كثرة العمل، فلعل تمام بعضه قد يسد نقص بعضه.

وقد يعتقد كثير من الناس أن الإخلاص مرتبط فقط بالصلاة، وأعمال العبادات الظاهرة، فهذا ليس صحيحا بإطلاق،بل الإخلاص واجب في جميع الأعمال، لكونها من ضمن العبادات، التي يؤجر عليها المرء، بما فيها الأعمال الشخصية الحلال، لأن كل تصرف لا يخلو إما من ثواب أو من عقاب.

فأما ضابطه: فلا يمكن الحديث عن الإخلاص إلا من بعد تحديد النية، التي تضبط التصرف، ويتبين المقصود بها، والغاية من وراء إجرائها. وما يضبط الإخلاص إلا أن تكون النية فيبداية أي عمل شرعي،وتكون الغاية هي نوال رضا الله تعالى من غير رياء ولا رفعة ولا تزلُّفاً لأحد أو ترقب مدح.وينتج الإخلاص آثارا على النفس، وطمأنينة في القلب. والإخلاص يتفلت فلا بد من مراعاته وتداركه في حينه وذلك بتجديد النية طيلة العمل.

المطلب الثالث: اليقين في الله

واليقين شعبة عظيمة من شعب الإيمان, وصفة من صفات أهل التقوى والإحسان، "والْيَقِينُ: الْمَقْطُوعُ بِهِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَهُوَ النَّصْرُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ" كما ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره 'التحرير والتنوير'. ولا بد من التفاني من أجل الوصول إليه، ولو أن الطريق إليه شاقة، تتطلب التوجه إلى الله ليكون عونا في تحقيقه.

ولأهمية اليقين فقد نبه الله نبيه ﷺ عن الركون إلى أهل الشك ومن ليس لديهم اليقين الكامل بالله رب العالمين. كما أمره بمداومة العبادة حتى يأتيه اليقين التام بلقاء ربه والفوز بمرضاته.

المبحث الثالث: شروط النجاة من بطن الحوت

إن وقوعنا في بطن الحوت، اليوم، وكالأمس، كان بسبب أخطائنا الكثيرة، وانحرافاتنا المتكررة، وسيتكرر وقوعنا في بطن الحوت كلما كانت نفس المسببات، وبطن الحوت ذي أحجام مختلفة، وتكون مدة المكث فيه قصيرة، كما يمكن أن تكون طويلة، وربما طويلة جدا، وقاسية بشدة. وللنجاة منشدة هذا الوضع استوجب الأمر التزام جملة من شروط، وهذه الشروط المعروضة إنما هي أمارات في الطريق، واعتبارها أسسا وركائز إنما تمهيدا لغيرها:

المطلب الأول: الذكر سبيل إلى الاطمئنان

إن بلوغ اطمئنان النفس، وتحولها من نفس أمارة بالسوء، وتلك طبيعتها، إلى نفس لوامة تسائل صاحبها باستمرار، وتقض مضجعه، يتطلب مجهودا كبيرا ومتواصلا في التقرب إلى الله، ثم يتضاعف الاجتهاد للرقي بهذه النفس

إلى درجة النفس المطمئنة، التي بشرها الله بدخول الجنة. ولا يتأتى الاطمئنان إلا بكثرة الذكر لله تعالى، والوعي بأنه الرب الرحيم لمن التجأ إليه، وهو الرب القاهر لمن ابتعد عنه والتجأ لغيره.

المطلب الثاني: الاطمئنان سبيل إلى العمل

ومتى أحست النفس ببداية تحصل الاطمئنان، انضبطت لورد من الذكر لا يغفل عنه المرء، فأي غفلة هي انتكاسة، تسمح لهذه النفس بالتغول، والعودة للأمر بكل سوء، أشد من غواية الشيطان، فهي بين جنبي المرء، وأعلم بدواخله، ونقاط ضعفه. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء: 103].

المطلب الثالث: العمل سبيل إلى النجاة

وكلما تجدد العمل وتواصل، فإن وعد الله لا بد أن يحل بالمرء: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)﴾ [الصافات: 143-144]. فإن يونس عليه السلام هو القدوة في ذلك، فقد كشف الله تعالى على أن الإصرار في الدعاء والذكر والتسبيح لا بد أن يثمر النجاة من أي ضيق وأي شدة وأي عسر.

المبحث الرابع: مقومات النجاة من بطن الحوت

إن الله سبحانه ضبط الكون بقانون منضبط وكل ما يحدث فيه مسجل في كتاب مبين، هو 'أمّ الكتاب'، وهو الكتاب المرجعي. لكن هناك كتبا أخرى يتدخل فيها الله تعالى بالتبديل، محوا أو تثبيتا، إسعافا لعباده وإنقاذا لهم من أي ضيق يصيبهم، فمهما كانت الظروف، فالله قادر على أن يغير كل شيء متى أراد، ومن مراداته تعالى قوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)﴾ (المجادلة: 19-21).

المطلب الأول:الاعتراف بالخطأ

لقد 'ذكَّرنا' كورونا كثيرا من الأشياء التي كانت من ضمن التوجيهات الدينية والشرعية والقانونية، فقد علمنا الإكثار من النظافة، و'ألزمنا' احترام الدور في المؤسسات والمتاجر، كما 'فرض علينا' التباعد الاجتماعي والتقليل من التصافح المفرط، والتعانق المجاني، وتبادل القبلات، وكل ما نرجوه أن تستمر هذه السلوكات بعد البلاء. والاعتراف بالخطأ شيمة الرجال الذين يستهدفون الخير لهم وللناس معهم، شريطة أن يكون ذلك في الدنيا: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 102]؛ أما يوم القيامة فقد فات الأوان.

المطلب الثاني: التسبيح المستمر

التسبيح هو التنزيه لله تعالى عن الشريك[13]، كما أنه اعتقاد وقول وعمل[14]. وحين يطلق يفيد عموم العبادة، ومن المستحسن أن يقرن التسبيح بغيره من التصرفات:

2.1- مع التهليل، فكلما اشترك التسبيح بالتهليل قَرَّب إلى الله تعالى، فمثله ما كان من تسبيح يونس عليه السلام في بطن الحوت: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)﴾ [الصافات: 143-144]؛

2.2- مع الاستغفار، فكلما كان مرتهنا بالاستغفار،كما كان مع آدم عليه السلام وزوجه: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]؛ فأثمر ذلك وكانت نتيجته التوبة من الله عليهما: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37]، ولعلها لنسله من بعده أبدا.

المطلب الثالث: الاستمرار في الإخلاص والحمد

إن العبد الذي يكون في الضيق لا يحس بأي يد تلمس قلبه وتحسسه بالأمان غير يد الله تعالى، لذا فإنه يلتجئ إليها كلما حلت بساحته ضائقة، لكنه بمجرد أن يتعافى منها ويخرج منها بسلام، فإنه ينخرط، من ساعته، في عيشته، وينسى ربه الذي أنقذه مما كان فيه. فصار من اللياقة مع الله والأدب في التعامل

معه الصبر حال الأزمة، والحمد حال زوالها. فقد كشف سبحانه فضائل الشكر حيث يجعل العبد تحت رعاية ربه باستمرار: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]؛ فتوجيهه سبحانه لعبده داوود عليه السلام وذويه، والمؤمنين غيره، أن يستمر في شكره، ولا قيمة للشكر الشفهي، بل لا بد من التصرفات والأعمال الصالحة، فهي لب الشكران، وهي عين الحمد.

الخاتمة

إن المسلم مدعو لبذل الجهد من أجل النجاة من كل ضيق مادي أو معنوي أو نفسي يقع فيه، داعيا الله تعالى أن يسعفه ويساعده على تحقُّق النجاة المستمرة.

دراسة عامة لأهم النتائج:

1- إن رحمة الله واسعة، فالقياس بين وضعيتين، على اختلاف الزمنين، وتنوع المكانين، فممكن. إن يونس عليه السلام، عندما خرج مغاضبا لقومه، معاتبا لهم، يائسا منهم، لم يكن خارجا عن إرادة ربه، فهو يعلم قدرته تعالى عليه، لكن القدرة التي وردت في القرآن، فيما يخص هذه القضية، هي من باب التضييق، كما هي مثلا في موضع آخر من القرآن الكريم، إذ بعض القرآن يفسر بعضه، حين تصبح المفردة مصطلحا قرآنيا: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: 16]، فقدر عليه رزقه، أي ضيَّقه عليه. فحالة النبي يونس عليه السلام، كانت فريدة منها في عالم النبوة، فكانت التربية الربانية مساوية لدرجة النبوة هذه، قادته لبطن الحوت، حيث تقوّت تربيته بما يتناسب مع الممكن مستقبلا، شريطة أن تبدو آثار هذه المحاولة المستجدة، وفعلا، ظهرت في اعترافه بخطئه عليه السلام، وبتسبيحه لربه بدون انقطاع، بصدق وعزيمة. وحالة نبي الله يونس، عليه السلام، تكاد تكون هي حال الكثيرين منا، حين أخطأنا، بالقدر الذي أدخلنا الله فيه إلى بطن الحوت، من أجل تقوية تربيتنا بما يتناسب مع دورنا في هذه الحياة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]؛ ولأداء مهمة سامية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]؛ كل ذلك من أجل العمران وابتغاء الصلاح والإصلاح.

2- وصورة يونس عليه السلام وقومه تشرح الصدر: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (100) قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (101) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103)﴾ [يونس: 98-103]. فإن كان قوم يونس قد شفع لهم إيمانهم، حتى ولو جاء متأخرا، فإيماننا بالله حاضر دائما، وكان دائما قائما، وإن كان تخفت تارات عديدة: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)"[الأنفال].

قراءة في الفروض والأهداف:

فروضها:

1- شيوع فيروس الكورونا بين الناس يسهم في تجلية بعض مرادات الله تعالى؛

فأما هذا الفرض فقد تبينت وجاهته حيث أن وقوعنا في بطن الحوت من جراء الحجر الصحي جعلنا، والعديد من الناس، نلتجئ إلى الله تعالى بالدعاء، والتفرغ لتلاوة القرآن، مما أسهم في توضح العديد من المضامين القرآنية، ومن خلاله يتوضح بعض مرادات الله من الناس، فسارع العديدون منا لتحقيقها بغية نوال رضا الله حتى يرفع عنا هذا البلاء؛

2- حالات الحجر العام تيسر في فهم كثير من الآيات فهما يقرب من إمكانية تطبيقها بيسر؛

إن هذا الفرض قد يتأكد بشكل كبير، ففهم مراد الله، أو القرب من فهمه، يقود العديدين منا إلى تفعيل الفهم في شكل تصرفات وأعمال تلتزم بالحد الأدنى من الشروط الشرعية بغية الفوز بحفظ الله من الوقوع في براثن هذا الداء الفتاك،

ولو نسبيا، إذ إن الناس سرعان ما يفقدون القدرة على الاستمرار في الالتزام بالشرائع؛

3- حالة الحجر المفروض تقود للوقوف على مضامين كانت تغيب عنهم في روتين العيش؛

كثرة الدعاء وتعداد النظر في كتاب الله تجعل بعض المضامين تستعيد بريقها، حيث إن فهمها لم يكن صعبا، ولكن الانغماس الشديد في البحث عن لقمة العيش، والسعي للحصول على المتعة المفترضة يجعل العديد من المضامين الشرعية تغيب عن مداركنا فلا تظهر في تصرفاتنا.

أهدافها:

1- الكشف عن إمكانية إسهام شيوع فيروس الكورونا في تجلية بعض مرادات الله تعالى؛

وقد أمكن تحقيق هذا الهدف من خلال الوقوف على بعض النصوص التي أظهرت أن بطن الحوت لم يكن موطن تذكير نبي الله يونس عليه السلام وحده، بل صار موطنا يذكرنا بفضل الله علينا وضرورة العودة إليه والفرار إليه وحده دون سواه؛

2- إبراز أن حالات الحجر تيسر فهم كثير من الآيات؛

إن تتبع القنوات التلفزية والكتابات على صفحات بعض الجرائد يكشف عن إسهام الحجر الصحي في انكباب كثير من الناس على البحث عن مضامين القرآن التي تناسب واقعهم المعيش الحالي؛

3- الإسهام في تمكين الحجر المفروض من الوقوف على مضامين كانت تغيب عن الناس في روتين العيش؛

وقد تجلى هذا الهدف، ويمكنه أن يزداد تحققا في الواقع، متى ما زاد اهتمام المفكرين والعلماء والمهتمين بالمجال الشرعي، وسعوا بكل جد وإخلاص وبذل جهد لتنوير الناس وتذكيرهم بما هم فيه وسبل النجاة منه.

المقترحات:

1- إثارة الانتباه إلى هذا الموضوع مهم بشكل يجعله حديث الساعة، لكون الناس، وخصوصا الأمة الإسلامية، هي الآن في محك خطير، فإما أن تجد

طريقها إلى ربها من جديد، أو تتيه أكثر، في انتظار ما قد يأتي، وربما قد يشكل دافعا لها لترجع إلى ربها، رجاء أن تكون من دون خسائر مادية ومالية ونفسية، كما هو الحال اليوم، إذ الخسائر لا تعد ولا تحصى نوعا أو نتائج؛

2- جعل أعداد من مجلتكم الغراء محورا لمواضيع ذات ارتباط ببلاء الكورونا، بغية اقتراح مزيد من الحلول لمختلف المشكلات النازلة أو المتوقعة؛

3- العمل، بعد انتهاء الوباء، ورفع الله لبلائه، على عقد مؤتمر علمي حول الموضوع، ومقدماته وأسبابه ونتائجه، وتبادل الآراء حول الموضوع واقتراح سبل الخروج من مثل هذه الطوارئ، بل العمل من أجل النجاة من الوقوع في مثل هذا البلاء؛

4- السعي من أجل التوجيه العملي للأمة من خلال ربط مضامين القرآن بواقع الناس، حتى يكون القرآن الكريم قريبا من الناس، ومحفزا لهم للعودة إليه،

5- الكتابة في موضوع له من الأهمية درجة كبيرة، ويتجلى في القول في تجدد تنزل القرآن الكريم، ومن ثمة الحديث عن تجدد مضامين هذا الكتاب.

المراجع:

1- الراغب الأصفهاني (ت502ه)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، والدار الشامية، بيروت ودمشق، 1430هـ- 2009م، ط1.
2- محمد بن يوسف أبو حيان التوحيدي (ت745ه)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت: 1413هـ- 1993م، ط1.
3- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت728ه)، مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، تحقيق عمر سليمان الأشقر، القاهرة: 1400هـ- 1980م.
4- محمد السيد لشرايف الجرجاني (ت816ه)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ب. ت، ب. ط.
5- أحمد ابن فارس (ت395ه)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 1399هـ- 1979م.
6- أبو زكريا يحيى بن عبد الله الفراء (ت215ه)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ب. ت، ط1.
7- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671ه)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ- 2006م)، ط1.
8- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت.
9- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب (ت711ه)، دار صادر، بيروت، ط1.

الهوامش:

[1]- قدمت قناة فضائية برنامجا، في أول أيام شهر رمضان لعام 1441ه، الموافق لشهر أبريل ومايو لعام 2020م، ولطيلة أيامه، تحدث فيه معِدّه عن كون الله تعالى أرجعنا، في زمن الكورونا، إلى الكهف؛ وعرض سورة الكهف، وإن كان الربط بين الحدثين ضعيف جدا، حيث تم الحديث عن أحداث سورة الكهف بالتفصيل، في حين أن الوقع لا يستقيم مع هذه السورة، ولعل السورة صورة فريدة في القرآن الكريم، ليس هنا موطن بسط ذلك، فهو في حاجة لورقة مستقلة، تم إعدادها بحول الله، لكن الواقع المعيش يتساوق مع بطن الحوت، وتلك قضية أثارتها أخت لنا نتجاذب معها، دائما، أطراف الحديث، ورغم فارق السن الكبير بيننا، فكأنها من سني، أو كأني من جيلها، حتى أنها تصفني دوما بتوأمها، فأثارت لدي أن الوضع ليس وضع الكهف، بل وضع بطن الحوت.

[2]- مفردات الراغب، 792، باب (ن ج و).

[3]- تاج العروس، 22/40.

[4]- أحمد مختار عمر، وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 1، 1429هـ- 2008م، المجد 3، ص 2174، اللفظ رقم 5055.

[5]- إن القرآن الكريم قد ولّد مصطلحات خاصة به، فإذا ما أطلقت، فهي المقصودة، وعليه فقد أصبح المعنى القرآني هو المعيار وليس لغة الناس أو تواضعهم.

[6]- محمد بن يوسف أبو حيان التوحيدي (ت745ه)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413ه، 1993م، ط1، ج 4، ص 351.

[7]- الراغب الأصفهاني (425ه)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم،دمشق، 1430هـ- 2009م، ط 4، ص 90.

[8]- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 772.

[9]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 245.

[10]- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (باب مكر).

[11]- محمد السيد الشريف الجرجاني (ت816ه)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة،القاهرة:، ب. ت، ب. ط، المصطلح: 1796، ص 191.

[12]- أبو زكريا يحيى بن عبد الله الفراء (ت207ه)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ب. ت، ط 1، ج 1، ص 218.

[13]- ينظر: تفسير الطبري، 503/1.

[14]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، [405/1].